المؤثرات في ظهور التصوف الإسلامي

د.مقبولة مسعود العوامي
قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة بنغازي.

ملخص البحث

التصوف فكرة إنسانية فريدة ومتجردة لسمو ذات الفرد، وتنعكس على المجتمع و تختص في ظاهرها بقيم إنسانية مشتركة، ويعتقد **عوام مُريدي** الطرق الصوفية في عصرنا الحالي بأن التصوف الإسلامي هو عِلم له مذاهبه ومدارسه ومناهجه ومشاربه، فالتصوف الإسلامي يُعد واحداً من أهم مجالات الفلسفة الإسلامية، وهو عبارة عن تجربة دينية بالغة العمق مرتبطة بكثير من الظواهر والعوامل، مثل:- الظواهر النفسية ،والتصرفات الأخلاقية، التي ينشأ عنهما مواقف فكرية وإبداعات أدبية وفنية، إلى جانب ذلك تُعد التجربة الصوفية وثيقة الصلة بالدين الذي استلهمت روحه، وعبرت عن نفسها من خلال تعاليمه.

فالتصوف أبن بيئته، هو مرتبط في نشأته بالظروف الاجتماعية والثقافية، وكذلك السياسية والاقتصادية التي نشأ وتطور فيها، التي لا نستطيع أن نفصل عاملاً عن آخر في تكوينهما، وهذا البحث هو محاولة للتطرق لتلك العوامل التي كان لها دوراً مهماً في نشأة وظهور التصوف الإسلامي.

المقدمة

إن فهم التصوف الإسلامي باعتباره حقيقة تاريخية لا يتم إذا نظرنا له بوصفه تجربة ذاتية أو حادثة معزولة عن بقية الأحداث، وإنما يكون فهمه أتم ومعرفته أفضل، إذا ما نظرنا إليه من خلال العوامل التي أثرت فيه.

من تلك العوامل التي عملت على ظهور التصوف عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية، وفي الحقيقة لا نستطيع أن نفصل كل عامل على حدة، أو نجعله السبب المباشر لظهور التصوف، فالمجتمع ينشأ من عدة عوامل متشابك بعضها ببعضها الآخر، فالعوامل الاقتصادية يكون لها دور في تغيير بعض المظاهر الاجتماعية، كذلك القلق السياسي والاضطرابات السياسية لا نستطيع أن نستبعدها عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، فتلك العوامل

مجتمعة كان لها دورا هاما وجذريا في ظهور التصوف، بداية بتعاليم الإسلام وثورة المسلمين الروحية ضد نظام اجتماعي وسياسي قائم، إلى جانب التغير الذي طرأ على المسلمين في الأحوال الاقتصادية بعد الفتح الإسلامي للكثير من البلدان ذات الحضارات العريقة، والرخاء الاقتصادي والعمراني والتنوع والثراء الفكري والفلسفي.

وهذا البحث هو محاولة تبيان أن ظهور التصوف على الساحة أو بالأحرى في المجتمعات الإسلامية، لا يمكن إرجاعه إلى عامل واحد بعينة بل يرجع إلى الكثير من العوامل المتشابكة، التي اختصرتها في عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية، ومحاولة إيضاح أن العوامل التي أدت إلى ظهوره في الماضي هي نفسها التي أدت إلى إحيائه في الحاضر.

نظرة الإسلام إلى التصوف

إذا نظرنا إلى تعاليم الإسلام وجدنا أن في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحث على الورع والتقوى وهجر الدنيا وزخرفها، كما أن هناك آيات تحقّر من شأن هذه الدنيا وتعظّم من شأن الآخرة، وتدعو إلى العبادة والتبتل وقيام الليل والتهجد والصوم، وهذه الآيات نجدها واضحة في سور القرآن المكية، خصوصاً آيات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والثواب والعقاب، وقد كان هذا الأسلوب ضرورياً في بداية الدعوة الإسلامية، لا سيما وأن كفار مكة ومشركيها لم يقيموا وزناً ليوم البعث يوم الحساب، ومن هنا كان الرسول الكريم ﷺبشيراً لمن آمن وتاب وأناب، ونذيراً لمن كفر وأشرك في عناده، ولا شك أنه في ظل فكرة البعث والحساب والعقاب سينبثق تيار الزهد والتصوف، إذ سيعرض البعض عن الدنيا بزخرفها وطيباتها الزائلة وصولاً إلى نعيم مقيم في الدار الآخرة، فالقرآن يصور الجنة والنار بصورة دفعت كثيراً من المسلمين إلى التفاني في العبادة طلباً للنجاة، وألقت الرعب في قلوب الآخرين خوفاً من الوقوع في النار فقضوا الليالي في التوبة والاستغفار.

إلا أن الإسلام نادى كذلك بالتمتع بالحياة الدنيا وذلك بالاعتدال، فلا إسراف ولا تفريط، ومن الآيات التي تشير إلى فناء الدنيا وضرورة الزهد فيها قوله تعالى:﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(20)﴾ سورة الحديد، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (8) ﴾ سورة يونس، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) ﴾ سورة **النازعات**، ويصور القرآن طبيعة الإنسان في الميل إلى شهوات الدنيا في مثل قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)﴾ سورة **الأعلى**، كما أن في القرآن آيات تمدح حال العباد المقبلين على الله تعالى في مثل قوله تعالى:﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(112) ﴾ سورة **التوبة**، وقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) ﴾ سورة السجدة، فهذه الآيات القرآنية بها توضيح لما تحويه الحياة الدنيا من لهو ولعب،كما أن الآيات السابقة توضح أن الدنيا هي متاع الغرور وأنها لا تدوم، لذا فعلى المسلم أن يسعى إلى لقاء الله، فلا تستهويه الحياة الدنيا ويجعلها بديلاً عن الآخرة، وبما أن الإنسان بطبعه يفضل الدنيا وملذاتها، فإننا نجد القرآن في كثير من آياته الكريمة يطلب من المسلم ألا يستسلم لتلك الملذات الدنيوية، ويطلب منه أن يقوم بتزكية نفسه بالعبادة وسائر الفروض الدينية كي تكون الجنة مثواه.

على أنه ينبغي ألا نفهم من ذلك أن الدين الإسلامي يحث الإنسان، أو يطلب منه أن يكون زاهداً تاركاً الدنيا بالكلية، بل نجد الدين الإسلامي كما شدد على المقصّرين في أمر الدين المتهالكين على الحياة، نجده قد شدد كذلك على المتشددين في دينهم، المغالين في عبادتهم، المتحاملين على أنفسهم المولين ظهورهم للحياة. يقول الله تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿31﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32)﴾ سورة

الأعراف. فالإسلام دين يسر وسماحة يقوم على الطريق الوسط، ويتجنب الغلو والتقصير وينهى أتباعه عن الإفراط أو التفريط، وهنا يحضرني قول الرسول ﷺ:"**ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه**"[1] **(رواه السيوقي)**.

كما ورد في كتب الأحاديث أمثلة للزهد المتطرف بصورة تدل على استهجان النبي ﷺ لها، ففي (**صحيح البخاري :240 هـ**) عن (**ابن عباس ﷺ:68 هـ**)، أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال: ما هذا ؟ قالوا أبو إسرائيل ...نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي الكريم: مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صيامه"[2]. وثبت في الصحيحين عن (**أنس :93 هـ**) أن رجالاً سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ فكأنهم تقالّوها –أي رأوها قليلة–فقالوا: وأينا مثل رسول الله ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ثم قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال آخر: أما أنا فأقوم –أي الليل– فلا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. وعلم رسول الله ﷺ بأمرهم فخرج مغضباً، وخطب في الناس فقال: ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني "[3] **(رواه النسائي)**.

ذلك هو الإسلام: دين ودنيا، دين حياة وعمل، وحياة تستظل بظل الدين فلا تحترق في المادة، وعمل يزاوج بين الروح والجسد، فلا يفنى الروح في كثافة الجسد وضراوة الشهوة، ولا يفسد بالجوع المتصل والحرمان الغليظ والعزلة القاتلة.

إذن فتعاليم الدين الإسلامي كان لها دور في ظهور الزهد أو التصوف، ولكن المقصود هنا بالزهد المعتدل، الذي يكون فيه الزاهد صاحب رسالة يؤديها في المجتمع، متمسكاً بتعاليم دينه وأخلاق القرآن، وفي الوقت نفسه يندمج داخل إطار مجتمعه، ناصحاً واعظاً وليس معتزلاً عن المجتمع، فقد كانت رسالة الحق التي حملها الرسول الكريم محمد ﷺ، ودعا الناس إليها كانت عقيدة وشريعة، تهدي الإنسان وتنظم علاقته بربه، وتنظم علاقته بأبناء جلدته والإسلام دين دنيا ودين آخرة، وهذا ما نصت عليه الآية ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** (77)﴾. **سورة القصص**، وهذا يعني أن الإسلام دين الاعتدال والتوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في حياة الإنسان، حيث لا إفراط ولا تفريط، فمن القرآن ظهر الزهد والتصوف الإسلامي المعتدل.

الظروف السياسية والاجتماعية لظهور التصوف الإسلامي:

أما بالنسبة للظروف السياسية والاجتماعية التي أدت إلى ظهور التصوف، فهي ترجع إلى الخلافات السياسية بين المسلمين منذ أواخر عصر "**الخليفة عثمان بن عفان** -رضي الله عنه*" :**35 هـ**) –فقد أثرت تلك الخلافات السياسية في مجال الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية للمسلمين، وبدأت تظهر العصبية القبلية واستمرت الخلافات السياسية في عصر "الإمام **علي بن أبي طالب****" :**40هـ**)، وانقسم المسلمون بعد ذلك إلى أمويين وشيعة وخوارج ومرجئة، واستمر الصراع بين الأمويين وخصومهم زمناً طويلاً.

وقعت الكثير من المعارك بسبب الفتن التي تعد امتدادا لفتنة مقتل عثمان، مما أدى لتشتت صف المسلمين وانقسامهم لشيعة علي الخليفة الشرعي، وشيعة، عثمان المطالبين بدمه على رأسهم (**معاوية بن أبي سفيان** :**59هـ**) الذي قاتله في صفين، و(**عائشة بنت أبي بكر**:**58هـ**) ومعها (**طلحة بن عبيد الله** :**35هـ**) و(**الزبير بن العوام**:**36هـ**) الذين قاتلوه في يوم الجمل بفعل فتنة أحدثها البعض حتى يتحاربوا؛ كما خرج على علي جماعة عرفوا بالخوارج وهزمهم في النهروان، وظهرت جماعات تعاديه وتتبرأ من حكمه وسياسته سموا بالنواصب ولعل، أبرزهم الخوارج .واستشهد على يد (**عبد الرحمن بن ملجم في رمضان**:**40هـ**).

---

*هو:أبو عبد الله عثمان بن عفَّان الأموي القرشي (**47ق.هـ 35 هـ**)– (**656 – 576 م**) ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام .يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات نبي الإسلام محمدﷺ، حيث تزوج من رقية ثم بعد وفاتها تزوج من أم كلثوم. كان عثمان أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحفظ الإسلام ثم تبعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة. ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة .وكان رسول اللّه يثق به ويحبه، ويكرمه لحيائه وأخلاقه ،وحسن عشرته وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين والذين آمنوا بالله، وبشّره بالجنة ويبع عثمان بالخلافة بعد الشورى التي تمت بعد وفاة عمر بن الخطاب وقد استمرت خلافته نحو اثني عشر عاماً تم في عهده جمع القرآن وعمل توسعة للمسجد الحرام، وكذلك المسجد النبوي، وفتحت في عهده عدد من البلدان ، في النصف الثاني من خلافة عثمان التي استمرت لمدة اثنتي عشرة سنة، ظهرت أحداث الفتنة التي أدت إلى اغتياله وكان ذلك في يوم الجمعة الموافق 18 من شهر ذي الحجة سنة 35هـ، وعمره اثنتان وثمانون سنة، ودفن في البقيع بالمدينة المنورة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ب ط، ج1، دار صياد، بيروت، **1960م**، ص39.

** هو: أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القُرشي (**13رجب 23 ق هـ 17/مارس599 م 21 – رمضان 40 هـ 27 /يناير 661 م**) ابن عم محمد بن عبد الله نبي الإسلام وصهره، من آل بيته، وكافله حين توفي والديه وجده، وأحد أصحابه، هو رابع الخلفاء الراشدين عند السنة وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأوّل الأئمّة عند الشيعة. أسلم قبل الهجرة النبويّة، وهو ثاني أو ثالث الناس دخولا في الإسلام، وأوّل من أسلم من الصبيان. هاجر إلى المدينة المنورة بعد هجرة الرسول بثلاثة أيّام ، شارك علي في كل غزوات الرسول عدا غزوة تبوك ، وعُرف بشدّته وبراعته في القتال فكان عاملاً مهماً في نصر المسلمين في مختلف المعارك وابرزها غزوة الخندق ومعركة خيبر .لقد كان على موضع ثقة الرسول محمد فكان أحد كتاب الوحي وأحد أهم سفرائه ووزرائه. عد مكانة علي بن أبي طالب وعلاقته بأصحاب الرسول موضع خلاف تاريخي وعقائدي بين الفرق الإسلامية المختلفة، بويع بالخلافة سنة 35 هـ **656**) م (بالمدينة المنورة، وحكم خمس سنوات وثلاث أشهر وصفت بعدم الاستقرار السياسي، لكنها تميزت بتقدم حضاري ملموس خاصة في عاصمة الخلافة الجديدة الكوفة .

هذا الخلاف لم يكن بعيداً عن الدين، لأن كل فريق من المتنازعين كان يلجأ إلى نصوص الدين دائماً ليؤيد موقفه ويبرره، وهذا يدعو إلى الاجتهاد في فهم النصوص أو تأويلها تأويلاً خاصاً، عندئذٍ صار كل حزب سياسي فرقة دينية لها معتقداتها، وعمد أصحاب كل فرقة إلى اصطناع شعراء وعلماء مهرة ليستميلوا الناس إلى جانبهم، ولفق بعضهم الأحاديث المدعمة لمعتقداتهم، فصار الأمر متعلقاً بالدين ومسائله الاعتقادية تعلقاً كبيراً.

وهذا يؤكد ما ذكر سابقاً من أن ظهور الزهد أو التصوف لا يمكن إرجاعه إلى عامل واحد بعينه، بل إن جميع العوامل متداخلة، وإن فصل العامل الديني عن الاجتماعي أو السياسي عملية صعبة، لأن مثل تلك العوامل متداخلة بعضها ببعضها الآخر، فبسبب الاضطرابات السياسية نجد أن بعض الصحابة قد شعروا بخطورة هذا الجو المشحون بالخلافات والاضطرابات السياسية، لذا فضلوا أن يقفوا من الفرق المتنازعة موقف الحياد، ولعلهم فعلوا ذلك ابتعاداً عن الفتنة وحباً في حياة العزلة، وهم بهذا كانوا يتجهون إلى نوع من الزهد، يقول (**النوبختي** :**310 هـ**) و (**ابن حزم** :**456 هـ**) "من الفرق التي افترقت بعد ولاية (**علي**)، فرقة اعتزلت مع (**سعد بن مالك** :**74 هـ**) و (**سعد بن أبي وقاص** :**55 هـ**)، و (**عبد الله بن عمر بن الخطاب** :**37 هـ**)، و (**محمد بن مسلمة الأنصاري** :**43 هـ**)، و (**أسامة بن زيد بن حارثة** : **هـ**)، فإن هؤلاء اعتزلوا "**علي**"، وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه، مع دخولهم ببيعته والرضا به فسموا المعتزلة، وصاروا أسلاف المعتزلة إلى الأبد، وقالوا لا يحل قتال (**علي**) ولا القتال معه، و (**الأحنف بن قيس** :**72هـ**) قالها لقومه، اعتزلوا الفتنة أصلح لكم"[4] و هذا فيه نظر لأن المعتزلة لم تظهر إلا بظهور واصل (**ابن عطاء الغزال** :**131 هـ**) بعده نزاعه الفكري مع (**الحسن البصري** :**110 هـ**)، نهاية القرن الأول و لم يكن ظهورهم بناءً على القضية السياسية في الإمامة.

كما أنه عند حدوث الفتنة بين (**الحسن بن علي** :**50 هـ**) والأمويين، وتنازل (**الحسن لمعاوية** :**59 هـ**)، آثر بعض أنصار **الحسن** الاعتكاف في منازلهم والاشتغال بالعلم والعبادة، إذن فالاضطرابات السياسية في هذا العصر كان من شأنها أن تدفع بعض المسلمين منذ وقت مبكر، إلى تفضيل حياة العزلة والعبادة تورعاً عن الانغماس في الفتن السياسية.

= سنة 40هـ 661 م. أشتهر (علي) عند المسلمين بالفصاحة والحكمة، فينسب له الكثير من الأشعار والأقوال المأثورة. كما يُعدّ رمزاً للشجاعة والقوّة ويتّصف بالعدل والزُهد حسب الروايات الواردة في كتب الحديث والتاريخ .كما يُعتبر من أكبر علماء في عصره علماً وفقهاً إنْ لم يكن أكبرهم على الإطلاق كما يعتقد الشيعة وبعض السنة، بما فيه عدد من الفرق الصوفيّة. انظر: البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عودا معروف، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي،2001م ص136.

خصوصاً حين نعلم أن عصر الأمويين باستثناء حكم (**عمر بن عبد العزيز***: **101 هـ**) قد شهد مظالم كثيرة واضطهادات شديدة لخصومهم، فمن الطبيعي أن تقوى النزعة إلى الزهد والعزلة عند أفراد كثيرين، خصوصاً حين اشتد ظلم وجور بني أمية بمقتل (**الحسين بن علي** :**31 هـ**) في كربلاء، "وقد ندم جماعة من أهل الكوفة، التي كانت كالبصرة إحدى مراكز الزهاد في العهد الأول للإسلام، وسموا أنفسهم بالتوابين بعد استشهاد الحسين، وذلك للخيانة التي صدرت منهم في حقه أو مناصرتهم لأعدائه، ولتلافي ما صدر منهم سابقاً زاولوا العبادة، وانزوت جماعة عن المجتمع المملوء بالشرور والمشاغبات، طلباً لنجاة أنفسهم لأنهم كانوا يرون عهد الخلفاء الأربعة قد انقضى، وتسلط من بعدهم على أرواح المسلمين وأموالهم أشقى الناس."[5].

وقد أدى ذلك الظلم السياسي والفتن بالكثير من المسلمين إلى حياة العبادة والزهد، وهذا النوع من السلبية لا يعرف في الإسلام ولم يناد به، إلا أن الحاجة قد دعت إليه، وأقصد بالحاجة هنا الظروف السياسية والاجتماعية، فرغم سلبية هذا الانسحاب من بعض المسلمين والاتجاه إلى الزهد، إلا أننا نعتبره نوعا من الاحتجاج الصامت على سلطة الحكام، الذين جعلوا كثيرا من الناس يعيشون في رعب فدعاهم هذا إلى الزهد في الدنيا، لأنه لم يعد للدنيا آنذاك في نظرهم قيمة، ومن هذا الزهد ظهر التصوف والمتصوفة.

الظروف الاقتصادية لظهور التصوف الإسلامي:

ما سبق يتضح أن حياة المسلمين الاجتماعية في العصر الأموي تغيرت كثيراً عما كانت عليه في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، فقد فتح المسلمون بلداناً كثيرة، وغنموا كثيراً من الأموال، وبدأ الثراء يظهر في المجتمع الإسلامي، فالفرق كبير بين المجتمع الإسلامي الأول، والمجتمع الذي نما في القرن الثاني وما بعده، فلقد فتح الله على المسلمين بلاداً زاخرة بالخير مليئة بالحياة، مثل بلاد فارس والروم التي تضم مصر والشام والعراق، ثم تمتد إلى شمال إفريقيا إلى المحيط، ثم إلى الأندلس وإلى سهول فرنسا، وفي هذه البلاد حضارات عريقة ومدن عامرة، وقصور شاهقة وأنهار جارية، فالازدهار الاقتصادي لتلك البلدان واضح، فأين ما كان فيه العرب من جدب الصحراء وفقرها إلى هذه الدنيا العريضة الزاخرة بالحياة، الفياضة بالخيرات والثمرات؟

---

* عمر بن عبد العزيز أبن مروان بن أبي أمية بن عبد شمس بن مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ العلامة الزاهد العابد، أبو حفص الأموي المدني ثم المصري الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية ثامن الخلفاء الأمويين، ولد سنة 61هجرية في المدينة، وتوفي عام101هـ ،قال عنه أنس بن مالك (ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى...كان من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين رحمة الله عليه...كان له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان أمام عدل رحمه الله عليه، تعلم في المدينة وأشتهر بها بالعلم والعقل مع حداثة سنه، ولي على المدينة والياً، فصلى الظهر ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا بريكم ، فان رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل ظلامه، فأخرج بالله على من بلغه ذلك إلا أبلغني فجزوه خيراً، وافترقوا.

أنظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ج5، ب ط، الطبقة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة2001م، ص114

أنظر أيضاً محمد عبد الحي شعبان، التاريخ الإسلامي تفسير جديد، ج1، ب ط، جامعة كمبردج، المملكة المتحدة، ب ت، ص122

فقد جرف هذا الثراء الاقتصادي وتيار هذه الدنيا كثيرا من الناس، فزاغت أبصارهم وضلت عقولهم وظهرت ألوان من التهتك السافر والجنون الخليع، وكانت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية مسرحاً وممرحاً لهؤلاء السفهاء من الناس، ومن ثم سرت العدوى إلى أمهات الأمصار في الأقطار الإسلامية، وكان من نتائج ذلك أن استخف بعض الناس بالدين بل سخروا منه ومن المتدينين، وظهر في الناس أصحاب المقالات الغارقة في الضلال والزيغ، وعرف بين الناس من يسمون بالزنادقة والملاحدة إلى جانب المجان والخلعاء.

إلا أن هذه الحياة اللاهية الماجنة التي كان يحياها كثير من المارقين في المجتمع الإسلامي لم تكن تعجب كثيراً من ذوي المروءة والدين، فكان لابد أن تجد من يقوم في وجهها ويشدد النكير عليها، وهنا وجد المسلمون الأتقياء أن من واجبهم دعوة الناس إلى ما كان عليه السلف من تقلل وزهد وورع وعدم انغماس في الشهوات، فوقع بين المتدينين المحافظين على دينهم وبين هؤلاء صراع عنيف، انتهى آخر الأمر إلى أن انصراف كل فريق إلى شأنه، بعد أن يئس من التغلب على خصمه، فانسحب كثير من المتدينين من ميدان الحياة جملة، وعاشوا في عزلة عن المجتمع، مكتفين بهذا الموقف (السلبي) فذلك أسلم لدينهم وأروح لأنفسهم، على أن بعضهم أي من المتدينين ظلوا يكافحون بلسانهم، وبكل ما لديهم من فكر ودين هذه الخلاعة والمجون، لكي يجعلوا المسلمون يثبتون على دينهم، ويحترسوا من الانزلاق في هذه المهاوي، وكان على رأس هؤلاء أو بالأحرى من أمثلة الدعاة إلى ذلك الصحابي (**أبو ذر الغفاري: 32 هـ**)* الذي انتقد حياة الأمويين المترفة وأساليبهم في الحكم نقداً شديداً، ودعا إلى الأخذ باشتراكية الإسلام العادلة.

---

* هو: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار–أخي ثعلبة–ابني مليل بن ضمرة، أخي ليث والديل، أولاد بكر، أخي مرة، والد مدلج بن مرة، ابني عبد مناة بن كنانة أحد السابقين الأولين من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. كان خامس خمسة في الإسلام. وأحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة النبوية كان رأسًا في الزُهد، والصدق، والعلم والعمل، قوّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم نشأ أبو ذر الغفاري في مضارب قبيلته غفار أحد بطون بني بكر كان أبو ذر الغفاري في الجاهلية يتكسب من قطع الطريق، وحين بلغته الأخبار بأن هناك من يدعو للتوحيد في مكة، سارع إلى الإسلام، فكان من السابقين إلى الإسلام ثم إنه رد إلى بلاد قومه ، فأقام بها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك ، فلما أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه ، ولازمه ، وجاهد معه . وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، توفي سنة32هـ في الربذة. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص467

**هو: سعيد بن المسيب أبو محمد بن حزن بن أبي وهب المخزومي، ولد سنة 15هجرية في المدينة، لزم أبو هريرة وسمع منه، تزوج من أبنته، وهو تابعي مدني ملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه وأحد رواة الحديث النبوي، وأحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين توفي سنة 94هجرية.أنظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ج4، بقية الطبقة الأولى،ص218.

وأنظر: وهبه الزحيلي، سعيد بن المسيب، ط5،دار القلم بيروت،1992م،ص128،

***هو: العلامة إمام المتكلمين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار، الأشعري اليماني البصري . مولده سنة ستين ومائتين وقيل: بل ولد سنة سبعين وأخذ عن :أبي خليفة الجمحي، وأبي علي الجبائي، وزكريا الساجي وسهل بن نوح. كان عجبا في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله –تعالى– منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة ، ويهتك عوارهم. له أربعة تواليف في الأصول، مات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. أنظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ج15، الطبقة 18، ص86.

**** هو: واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي، ولد سنة700هجري في المدينة، وتوفي عام 131هجرية في المدينة المنورة، لقب بالغزال الألثغ تتلمذ على الحسن البصري مؤسس فرقة المعتزلة، كان ذي فطانة وفصاحة وحسن تصرف في القول،كان صاحب عاهة في نطق حرف الراء. لذا كان يتجنب حرف الراء في خطبة، أختلف مع أستاذه في حكم مرتكب الكبيرة فأعتزل حلقة الحسن البصري فقال الحسن اعتزلنا واصل فتسمت فرقته بالمعتزلة. كون الحلقة الأولى للمذهب الاعتزالي بعد الانفصال عن الحسن البصري، أنظر الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر،1369هـ،ص34 وما بعدها.

و(أبو حامد الغزالي*) (505 هـ) من فلاسفة المتصوفة، كما كان من بينهم شعراء اتخذوا من الشعر سلاحاً في هذه المعركة، ولعل (أبا العتاهية **) (212 هـ) كان على رأس هذه الجبهة، فقد كانت أشعاره مليئة بالازدراء على الدنيا والتهوين من شأنها والهرب من شباكها.

وخلال هذا الصراع الظاهر والخفي بين أصحاب الأهواء والبدع من جهة، وأصحاب الجد وأهل المروءة والدين من جهة أخرى، أخذ كل فريق ينعزل بأصحابه وأتباعه ويجتمع إليهم، ويستمع منهم ويرسم الطريق لحياته الجديدة معهم، فأهل الأهواء والخلاعة يجتمعون يوما هنا ويوما هناك، مفتنين في ألوان المجانة، باحثين عن الجديد في كل ما يثير الشهوات ويغذيها، وأصحاب الجد يجتمعون في المساجد حلقات يتناصحون ويتذاكرون، ويلتمسون مواطن النجاة من هذا البلاء المحيط بهم.

---

* هو: أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصر يلقب بالغَزَالي نسبة إلى صناعة الغزل، حيث كان أبوه يعمل في تلك الصناعة، ولد الغزّالي عام 450هـ ابتدأ طلبه للعلم في صباه عام 465هـ، فأخذ الفقه في طوس على يد الشيخ أحمد الراذكاني، ثم رحل إلى جرجان وطلب العلم على يد الشيخ الإسماعيلي، وفي عام 473هـ رحل الغزّالي إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني) إمام الشافعية فدرس عليه مختلف العلوم، من فقه الشافعية، وفقه الخلاف، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والمنطق، والفلسفة، وصفه شيخه أبو المعالي الجويني بأنه: «بحر مغدِق، وكان الجويني يُظهر اعتزازه بالغزالي، حتى جعله مساعداً له في التدريس عندما ألف الغزالي كتابه المنخول في علم الأصول، من أشهر مؤلفات الغزّالي في التصوف إحياء علوم الدين، و الإملاء على مشكل الإحياء ،و بداية الهداية، روضة الطالبين وعمدة السالكين. الى آخره . كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفيّ الطريقةِ، شافعيّ الفقهِ ، وكان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب" حجّة الإسلام"، وله أيضاً ألقاب ،مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمّة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة. توفي سنة 505هـ.أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص323.

** أبو العتاهية هو: إسماعيل بن القاسم، ولد في بادية الرمادي سنة131هجرية،كان أهله يشتغلون في صناعة الفخار، وبيعه ألا أنه عزف عنه وانصرف إلى قول الشعر وأختلف إلى الحلقات الأدبية والشعرية التي كانت تعقد في الكوفة...التي فيها اكتملت شاعريته وذاع صيته ثم أتجه إلى بغداد... وأتصل بالخليفة المهدي وراح يمدحه فقربه الخليفة وجعله من شعراء بلاطه... درس الفلسفة،والعقيدة وعلوم الدين،فنبذ الشعر الخليع، ونبذ ملذات الحياة وأنقطع إلى قول الشعر في الزهد في الدنيا والتذكير في الآخرة بعد الموت وبقى هكذا إلى أن وافته المنية سنة 212هجرية.من قوله في الزهد:

- الم تر ريب الدهر في كل ساعة — له عارض فيه المنية تلمع
- أيا باني الدنيا لغيرك تبني — ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
- تبارك من لا يملك الملك غيره — حتى تنقضي حاجات من ليس يشبع

أنظر: فالح نصيف الحجية الكيلاني،الموجز في الشعر العربي، ج 2،المجلد الأول ،2009م،ص302.

وهكذا كثرت العبادات وتنوعت الأذكار والأوراد، واشتدت حاجة الناس إلى العلماء والفقهاء، ينشدون عندهم الدواء، ويتلقون عنهم (الوصفات) الواقية من هذه المحنة.

وهنا تظهر كلمة التصوف، وتتخذ شعاراً وعلماً على أولئك الزهاد الذين وقفوا في الطرف المقابل للخلعاء والماجنين والزنادقة والملحدين.

يقول (**نيكلسون** :**1945 م**): "وقد انفرد القرن الأول في الإسلام بالعوامل الكثيرة التي شجعت على ظهور الزهد وانتشاره، فالحروب الأهلية الدامية (التي وقعت في عهد الصحابة وبني أمية) والتطرف العنيف في الأحزاب السياسية، وازدياد التراخي والاستهانة في المسائل الخلقية، وما عاناه المسلمون من عسف الحكام والمستبدين، الذين يملون إرادتهم وآراءهم الدينية على غيرهم ممن أخلصوا في إسلامهم، ورفض هؤلاء الحكام علانية كل فكرة تتصل بالخلافة الدينية التي حاول المسلمون إرجاعها"[6].

كل ذلك عوامل حركت نفوس الناس للزهد في الدنيا ومتاعها، وحولت أنظارهم نحو الآخرة ووضعت آمالهم فيها، ومن هنا ظهرت حركة الزهد قوية عنيفة، وانتشرت على مر الأيام، فكان زهداً دينياً خالصاً في بادئ الأمر، ثم دخلت إليه بالتدريج بعض العناصر الصوفية الدخيلة، حتى تحولت في النهاية إلى أقدم صورة نعرفها للتصوف الإسلامي.

تحليل ما سبق

لا يستطيع أحد أن ينكر أن في العهد الأول للإسلام اعتبر الإسلام الحقيقي هو دين العبادة والزهد. وزهد صحابة هذا العصر متفاوت بينهم منبثق عن القرآن والسنة، فالتصوف كظاهرة لم يلحق بهم. ويعلل (القشيري*) (376 هـ) في رسالته عدم تسمية الجيل الأول من المسلمين باسم الصوفية قائلاً: "إنه بعد وفاة النبي ﷺ كان المسلمون ممن صحبوه

*لإمام الزاهد، القدوة، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب " الرسالة كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة. صنف " التفسير الكبير " وهو من أجود التفاسير، وصنف " الرسالة " في رجال الطريقة، و نحو القلوب، وكتاب لطائف الإشارات وكتاب الجواهر، وكتاب أحكام السماع، وكتاب عيون الأجوبة في فنون الأسلة، وكتاب " المناجاة، ولد سنة 376هـ، وتوفي1074م. .أنظر محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج18،مؤسسة لرسالة،القاهرة2001م،ص227.،انظر أيضا أبن خلكان ، وفيات الأعيان، ج1،المطبعة الميمنية،مصر،1848م،ص229.

يرون لأنفسهم شرفاً لا يدانيه شرف أن يسموا بالصحابة، وكذلك الأمر بالنسبة للجيل الذي تلاهم فكانوا يرون في إطلاق لفظ التابعين عليهم شرفاً، فلم تظهر لذلك تسمية المقبلين على العبادة بالزهَّاد والعبَّاد والنسَّاك والبكَّاءين ثم الصوفية إلا بعد جيل الصحابة والتابعين."[7]، ولكن من الملاحظ أننا لا نجد كلمة الزهد تظهر بوصفها مصطلحا، كما أننا لا نجد كلمة التصوف، ولا نجد أبداً مصطلحي العلم الظاهر والعلم الباطن، إلا أننا نجد أن مع تغير الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عهد بني أمية ظهر جماعة من أوفياء المسلمين وخيارهم، قد فرغوا من تقلب مفهوم الدولة لدى خلفاء بني أمية، فبدأت صورة العبادة المختلفة في شتى المدن تظهر و تتميز في الجانب الروحي، فنشأت مدارس العبادة أو مدارس الزهد و الزوايا وكان لكل مدرسة عوامل مختلفة ساعدت على إنشائها.

وإن كان حسب قول (ابن خلدون 808 هـ*) أن الصوفية والمتصوفة لهم طريقة، وطريقتهم هي نفسها التي كانت موجودة عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين طريقة الحق والهداية، التي أصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والابتعاد عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد عن متعلقات الدنيا من مال وجاه، لذا نجدهم انفردوا عن الخلق في الخلوة للعبادة، إلا أنه قد علل ظهور اسم التصوف، وظهوره إلى التغيرات التي طرأت على المجتمع الإسلامي فقال في مقدمته: "فلما نشأ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة" [8]. أي أن وراء ظهور التصوف هو ما حدث من تغيرات داخل المجتمع الإسلامي لا تتماشى مع قيم الإسلام والعقيدة.

إذن فحين نمد النظر إلى ما بعد عصر التابعين نرى ما كان عليه الصحابة من علم وزهد وعبادة وتقوى وورع، أما ظهور التصوف والمتصوفة فقد كان نتيجة لجنوح الناس إلى مخالطة الدنيا في القرن الثاني للهجرة، فإن ذلك من شأنه أن يتخذ له المقبلون على العبادة اسماً يميزهم عن عامة الناس الذين ألهتهم الحياة. هنا تظهر كلمة (التصوف)، وتتخذ شعاراً وعلماً على أولئك الزهاد الذين وقفوا في الطرف المقابل لمناهضة التغيرات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية التي طرأت على المجتمع الإسلامي.

---

*هو: عبد الرحمن أبوزيد ولي الدين بن خلدون، ولد بتونس ويرجع أصل أسرته إلى حضرموت، كان لأسرته قدم راسخة في العلم والسياسة درس العلوم الدينية واللغوية والفلسفية والطبيعة والرياضية، تولى عدة وظائف حكومية فترة 25سنة بدول شمال أفريقيا، رحل إلى الأندلس عام 764هـ، قضى بها عامين ثم عاد إلى الغرب، توفي عام808هـ.أنظر: احمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،1989م، ص134

فإذا قارنا بين الزهد والتصوف من النواحي (المنهجية، والفكرية، والغائية)، فإننا نجده كالتالي:

– **الناحية المنهجية**: أن الزاهد دائماً حدوده الشرع ووسيلته التكاليف الدينية، أما **المتصوف** فهو ذو شخصية شبه مستقلة فإن أوّل ولم يخرج على الأصول كان متصوفاً إيجابياً، وإن أوّل وخرج عنها ولم يهتم بالوسيلة في التكاليف الدينية كان متصوفاً سلبياً، يرى أنه من الخواص أصحاب العرفان.

– **أما من الناحية الفكرية**: فالزاهد دائماً محوط بجلال الله وقوته وسلطانه وإرادته، ولكن **الصوفي**: إما أن يكون مطمئناً إلى رحمته ولطفه، وإما أن يحيا قلقاً معذباً ساعياً لتحطيم حجاب الأنية، وهو في المعنى الأول إيجابي وفي المعنى الثاني سلبي.

– **أما من الناحية الغائية**: فالزاهد يعرض عن لذائذ الحياة، ويتحمل مشاقها طمعاً في الكسب الأخروي، أما **المتصوف** فيفعل ذلك: إما لغاية معرفة الله ومعاينته والسعادة بمطالعته والقرب منه، والعودة لصحو الحياة والعمل لها وترقيتها، فيكون متصوفاً إيجابياً، وإما الفناء والاتحاد بالله، أو السعي لحلول الله فيه، أو توكيداً لهذه المذاهب وما تولد منها، فيكون متصوفاً سلبياً خارجاً.

الخاتمة

مما سبق اتضح لنا أن التصوف هو تطور للزهد، ولكنه لم يعرف بهذا الاسم إلا في القرن الثاني للإسلام، وهو ليس شيئاً حادثاً في هذه الملة، وإنما كان الخلفاء الراشدون وصحابة الرسول ﷺ هم الذين حققوا معنى التصوف في أنبل صورة وأكرمها، فقد كان صحابة رسول الله وخلفاؤه الرواد الأوائل لطريق التصوف في ظاهر أمرهم وباطنه، كان أبو بكر في ورعه، وعمر في زهده، وعثمان في سخائه، وعلي في علمه، كان هؤلاء الخلفاء الراشدون ومعهم الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين– أزهد الناس في الدنيا، وأكثرهم مراقبة لله وخشية له، وإن كان لفظ التصوف لم يدر على ألسنتهم ولم يظهر في محيطهم، فإنهم قد حققوه على أكمل صورة وأروعها إلا أن اسم التصوف لم يلحق بهم.

فظهور التصوف والمتصوفة كان نتيجة لجنوح الناس إلى مخالطة الدنيا في القرن الثاني للهجرة، فإن ذلك من شأنه أن يتخذ له المقبلون على العبادة أسماً يميزهم عن عامة الناس الذين ألهتهم الحياة، هنا تظهر كلمة (التصوف) وتتخذ شعاراً وعلماً

على أولئك الزهاد الذين وقفوا في الطرف المقابل للخلعاء والماجنين والزنادقة والملحدين، الذين ظهروا وازداد نفوذهم نتيجة ازدياد الثروات التي أتت إليهم عن طريق الاتصال بثقافات البلدان التي تم فتحها ودخول الإسلام فيها، ونتيجة لتلك التغيرات التي طرأت على المجتمعات الإسلامية في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، التي أحدثت تغيرات لا تتمشى مع توجهات المجتمع الإسلامي، والمتمثلة في القيم والأخلاق والعدالة، والبعد عن مظاهر الأبهة والترف في العيش وملذات الحياة، ظهر التصوف وأتباعه الذين اشتهروا بالورع والتقوى.

نتائج البحث

- ينتشر الآن في الوقت المعاصر الكثير من الصراعات بين المذاهب والأفكار، وتسيطر في المجتمعات الكثير من المفاهيم المادية بالنسبة للإنسان والكون والحياة، مما سبب اهتزاز في القيم الخلقية والروحية اهتزازاً شديدا، هذه الأفكار أحيت من جديد ظهور التصوف، ومريديه بين المجتمعات لإحداث التوازن بالنسبة لإنسان العصر، فهو يمده بالقيم الروحية التي دعا إليها الإسلام، التي يجب أن يتسلح بها في مواجهة إلحاد العصر على اختلاف مذاهبه، لذا يجب البحث والدراسة في العوامل المسببة في إحياء فكرة التصوف.

- إذا كان المجتمع ينشأ من عدة عوامل متشابكة بعضها من بعضها الآخر، فعليه لا نستطيع أن نفصل عامل عن آخر، أو بالأحرى نميز عامل عن الأخر ونجعله سبباً في نشأة ظاهرة من ظواهر المجتمع وهذا ينطبق على التصوف.

- إن الكثيرين من النقاد والمفكرين في هذا العصر يرفضون فكرة التصوف واستمراره، إلا أننا يجب أن نقر وبكل صراحة بقائه وانتشاره إلى الآن، وأنه من الصعوبة أن ننتشل هذا الفكر من صدور مريديه، وعليه يجب البحث عن السبب وراء ذلك.

- يجب الاهتمام بدراسة الفكر الصوفي في هذا العصر لمعرفة أسباب انتشاره، وبقائه وإنهاء الخصومة بين المؤيدين له والمعارضين، التي أرى من وجه نظري أنها أيضا كما في الماضي عوامل مرتبطة بالعامل السياسي والاجتماعي والاقتصادي وأيضا الديني.

- يجب إعطاء الدارسين والمهتمين بعلم التصوف فكرة عن الصوفية وفكرهم في المجتمع الإسلامي، والتفرقة بين الزهد والتصوف، كي يتضح لنا متى يكون التصوف إيجابيا ومتى لا يكون إيجابيا، لذا فانه من الضروري أن يتم بين الحين والآخر جلاء المفهوم الحقيقي للتصوف، والتعرف على جوانبه المختلفة ومدى ما حدث لها من تطور.

_ يجب أن نعي جيداً أن التصوف الإسلامي جزء من تراثنا الإسلامي الكبير، وهو من جانب آخر مازال عيش في حياتنا المعاصرة، وهذا يتطلب من الدارسين الجدد ان يقبلوا في بحثهم باهتمام وجد، وأن يحاولوا استخراج ما يحتوي عليه من عناصر ايجابية، دون أن يحجب ذلك إبراز ما فيه من نقاط الضعف وبيانها.

- مع كل ما كتب في التصوف، نجد أن هناك صعوبة من عرض الموضوع عرضا شاملاً، وذلك لأن ظاهرة التصوف متسعة المجال شاسعة الأبعاد، بحيث لم يستطع أحد أن يصل إلى أن يحيط بها إحاطة كاملة، لذا نأمل أن يزداد الاهتمام من المفكرين والطلاب المهتمين بالتصوف بجمع كل معارفه من كل مكتبات العالم خصوصاً مع توفر التكنولوجيا الحديثة.

* * * * * * * * * * * * * * *

الهوامش

1- جلال الدين السيوطي، **الحاوي للفتاوى**، ب ط، دار الفكر للطباعة والنشر،2004م ،ص58.

2-محمد بن إسماعيل أبو عبدا لله البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر(صحيح البخاري)** تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1،دار طوق النجاة،1422هـ،ص1642.

3-ابن تيمية، **مجمع الفتاوى (الآداب والتصوف)**، ج11، مجمع الملك فهد، الرياض،1995، ص 201.

1- النوبختي، **فرق الشيعه**، ب ط، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول،1931م، ص5.

5-ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج4، ب ط، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، ص233.

6- نيكلسون، **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، ب ط، ترجمة نور الدين شريبة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م، ص46.

7- أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، تحقيق، عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، ب ط، مؤسسة مطابع دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ،1989م، ص145

8- ابن خلدون، **المقدمة** ، تحقيق: على عبد الواحد وافي، ج3، ط2، لجنة البيان العربي، القاهرة،1947م، ص29.

المصادر والمراجع

1. ابن تيمية، **مجمع الفتاوى (الآداب والتصوف)**، ج11، مجمع الملك فهد، الرياض،1995م.
2. ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق: على عبد الواحد وافي، ج3، ط2، لجنة البيان العربي، القاهرة،1947م.
3. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، المطبعة الميمنية، مصر،1848 م.
4. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ب ط، ج1، دار صياد، بيروت، 1960م
5. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج4، ب ط، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م.
6. أحمد محمود صبحي، **في فلسفة التاريخ**، ط 2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،1989م.
7. البغدادي، **تاريخ بغداد**، تحقيق بشار عودا معروف، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي،2001م.
8. الجاحظ، **البيان والتبين**، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر،1369هـ.
9. جلال الدين السيوطي، **الحاوي للفتاوى**، ب ط، دار الفكر للطباعة والنشر،2004م.
10. الذهبي، **سيرة أعلام النبلاء**، الأجزاء 2، 4 ،5، 15، 19، ب ط، الطبقة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة2001م.
11. فالح نصيف الحجية الكيلاني، **الموجز في الشعر العربي**، ج 2، المجلد الأول،2009م.

12.القشيري، **الرسالة القشيرية**، تحقيق، عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، ب ط، مؤسسة مطابع دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ،1989م.

13.محمد بن إسماعيل أبو عبدا لله البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري)** تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة،1422هـ.

14.محمد عبد الحي شعبان، **التاريخ الإسلامي تفسير جديد**، ج1، ب ط، جامعة كمبردج، المملكة المتحدة، ب ت.

15.النوبختي، فرق ألشيعه، ب ط، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول،1931م.

16.نيكلسون، **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، ب ط، ترجمة نور الدين شريبة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م.

17.وهبه الزحيلي، سعيد بن المسيب، ط5، دار القلم، بيروت ،1992م.

* * * * * * * * * * * * * * * *